مجلة المنهل ـ المجلد: 08، العدد: 01 (2022 م) ـ ص ص 875 – 892
ISSN : 2437 – 1068 • EISSN 8392-2710

الشّعر الصّوفي العربي بين فريديريش روكرت وآنا ماري شميل
ـ دراسة مقارنة ـ

Arabic Sufi Poetry between Friedrich Rückert and Anna Marie Schimmel
- A Comparative Study -

د. محمد أمين طاهير (*)
جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم (الجزائر)
mohamedaminetah@gmail.com

تاريخ الاستلام:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:
2021/11/08	2022/02/06	2022/06/13

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص:

التّصوف العربي من بين القضايا المهمة والكبيرة التي أخذت حيّزا مهمّا في الدّراسات الغربية والاستشراق الألماني تحديدا، حيث جلب أنظار واهتمام المستشرقين الألمان قدامى ومحدثين، حاول روكرت دراسة التّصوف العربي والإسلامي من وجهة نظر مختلفة عمّا تطرّقت إليه آنا ماري شميل رغم أنّه كان أستاذها وموجّهها إلى هذا المجال، فكلاهما تأثرا بالشّعر الصّوفي والشّعراء المتصوفة العرب وكان لهم نفس الاهتمام إلاّ أنّ الاختلاف جليّ أيضا في الدّراسة والبحث والتّرجمة والمنهج.

نلمس من خلال هذه المقارنة نقاط تقاطع لأنّ الموضوع مشترك بينهما وفي مقابل ذلك نقاط اختلاف في الطّرح وقضايا أخرى اهتما بها المستشرقان، لهذا كانت الإشكالية الأبرز: ما هي أوجه التّشابه والاختلاف بين المستشرقين الألمانيين في التأثّر بالشّعر الصّوفي العربي؟.

الكلمات المفتاحية:

الاستشراق؛ التّصوف؛ التأثّر؛ المنهج؛ التّشابه .

Abstract :

Arab mysticism, Sufism, has been one of the major concerns for Western Studies and German Orientalism in particular. As a matter of fact, a large number of ancient German orientalists have been interested in studying Sufism. Friedrich Rückert attempted to examine Islamic and Arabic mysticism from a unique perspective, unlike Annemarie Schimmel, one of his prominent students. Both of them were greatly influenced and fascinated by the Sufi poetry as well as the Arab Sufi poets. Despite their mutual interest, they had divergent viewpoints such as the examination, research, translation, and the methods used.

Drawing an analogy between the two orientalists, we note that in spite of sharing some common points, they differ in tackling other topics. This begs the following fundamental question: "Being influenced by the Arabic Sufi poetry, what are the similarities and the differences between the German orientalists?"

Keywords: Orientalism ; Sufism ; Influence ; Method ; Similarity.

(*) المؤلف المراسل.

1. مقدمة

يعتبر التّصوف الإسلامي من الدّراسات المهمّة والأساسيّة في مجال الفكر التّاريخي وهو من أرقاها وأعلاها مرتبة، فالمتصوف لا يحمل فكرا عاديا كمثل النّاس ولا ينظر إلى الأشياء الماديّة نظرة عادية، لذلك عمل الشّاعر الصّوفي أثر – وبشكل كبير– في الحياة الإسلامية، بل والحياة الإنسانية عموما من خلال أعمال خاصّة وسيرة مختلفة وعادات متميّزة.

كان للمستشرقين اهتماما كبيرا وخاصّا بالتّصوف الإسلامي والعربي وأعلام المتصوفة البارزين أمثال ابن عربي وابن الفارض والحلاّج...وغيرهم، لكن ابن عربي كان من أبرز أعلام التّصوف العربي والإسلامي، حيث نال الاهتمام البالغ من كبار المستشرقين، فعكفوا على دراسة تاريخه وآثاره الشّعريّة وكان إعجابهم به واضحا خاصّة بفكره وفلسفته الصّوفية، فمن هم هؤلاء المستشرقين الألمان البارزين الذين تأثّروا بالتّصوف العربي الإسلامي والشّعراء الصّوفية العرب؟ وما هي النتائج التي توصّلوا إليها من خلال هذه الدراسات في هذا المجال؟ وما هي أبرز خصائص دراساتهم عنه؟.

يبدوا أنّ التجربة الصّوفية واحدة في جوهرها، لكن الاختلاف بين صّوفي وآخر راجع أساسا إلى تفسير التّجربة ذاتها المتأثّر بالحضارة التي ينتمي إليها كلّ واحد منهما (أحمد أمين،1969، ص 173) وبذلك ينعكس العمل على المستشرق المتأثّر فيكون التّصوف دينيّا أحيانا وفلسفيّا أحايين أخرى، فهذا التّنوع في الدّراسات الاستشراقية الألمانية في هذا المجال تحديدا جعله ثريّا ومفعما بالخصائص والبحوث الممزوجة بالجانب الرّوحي الذي تخلّل الشّعر الصّوفي العربي وجعله مصدرا دينيّا وفلسفيّا وروحيّا.

تطور الأدب الصوفي شعرا ونثرا، وبلغ الشّعر الصوفي ذروته مع ابن عربي وابن الفارض في الشّعر العربي، وجلال الدين الرّومي في الشّعر الفارسي، ولم يظهر الشّعر الصّوفي إلاّ بعد شعر الزّهد والوعظ الذي اشتهر به كثيرا الشّاعر أبو العتاهية، وقد ظهر الشّعر الصّوفي كذلك بعد شعر المديح النّبوي الذي اشتهر به كل من رابعة العدوية وإبراهيم أدهم وسفيان الثوري، وداود الطّائي، والفضيل بن عياض وعمرو بن عبيد والمهتدي وشفيق البلخي وسفيان بن عينة ومعروف الكرخي، وكان انعكاسا للورع والتّقوى بين صفوف العلماء والأدباء. ويعدّ ذو النون المصري أوّل من تحدّث عن الأحوال والمقامات الصّوفية إلى جانب السّري السّقطي وهو حسب شوقي ضيف: "الأدب الحقيقي للتّصوف، هو أوّل من تكلّم عن المعرفة الصّوفية فارقا بينها وبين المعرفة العلمية والفلسفية التي تقوم على الفكر والمنطق، على حين تقوم المعرفة الصّوفية على القلب والكشف والمشاهدة، فهي معرفة باطنية تقوم على الإدراك الحسّي، ولها أحوال ومقامات."(الغنيمي أبو الوفا، د.ت، ص3).

لم يكن الأثر الصوفي وشعره وروحانيته تمتد من الشرق إلى الغرب فقط بل امتدت في الغرب وعلى محيط المستشرقين الألمان أنفسهم، حيث تأثّر جملة منهم ببعضهم البعض وعرّف بعضهم الآخر بالشّعر الصوفي العربي وبشعراء متصوفة عرب، حيث تأثّر جوته ب هامر وروكرت، كما أثّر هذا الأخير وفتح الباب أمام المستشرقة شميل وعرّفها بالتّصوف وكان دليلها وهاديها إلى هذا الدّرب.

ومن المستشرقين الألمان المهتمين بالتّصوف العربي والإسلامي عدد كبير، لكن وقع اختيارنا على نموذجين من فترتين زمنيتين مختلفتين، كلّ واحد منهما يمثل جيلا بأكمله، فكلاهما تأثرا بالشّعر الصّوفي وأصحابه ومريديه وسنطّلع من خلال هذا العمل على الرّابط بينهما رغم الفارق الزّمني وما يجمعهما أيضا.

2.التجربة الشّعرية والصّوفية عند فريديريش روكرت (1788-1866)

شاعر ألماني ومترجم متخصّص في لغات وآداب الشّرق الأدنى والأقصى "والحقّ لسنا ندري أكانت عبقريّته أكبر في مجال الشّعر أم في مضمار اللّغات الشّرقية ولعلّ ما يبعث على الأسف أنّ هذا العالم القديم لم يحظ بتقدير مواطنيه، فمازال الشّعب الألماني يجهل حتّى الآن الكثير من أعماله في حقل الاستشراق." (صلاح الدين المنجد، 1978، ص55).

كان له باعا طويلا في ترجمة الشّعر العربي إلى اللّغة الألمانية خاصّة الشّعر القديم. وممّا سهّل عليه الإبداع في ميدان الترجمة، إتقانه اللّغة العربيّة وعلومها واطّلاعه التّام على أسرارها النّحويّة والبلاغيّة، حيث "انشغل بآداب الشّرق المختلفة، وافق في النهاية فنّها الشّعري، من حيث أنّه أدرك بالحدس طبيعتها من خلال غريزة لا تخطيء لرومانسي أصيل، ثمّ قدّمها في قواف ألمانيّة بتمكّن لغوي لا يضاهى، هذا وتعدّ ترجمته لديوان الحماسة الذي أصدره فريتاج وترجمته الرّفيعة لمقامات الحريري بشكل خاصّ في صلب الأدب الألماني." (يوهان فوك، 2001، ص168).

حسّه الرومانسي كان الدّافع القويّ والبارز في توجهه نحو الشّعر الصّوفي، حيث وجد فيه صلة العابد بربّه والمتصّوفة بمعشوقه الذي يكتب فيه أبياتا نابعة من إحساسه الخالص ويجسّد شعوره بكلمات تكون عاجزة أحيانا عن تفسير المشاعر الجيّاشة والانفعال النّفسي والصّراع الدّاخلي الذي يتخبّط فيه المتصوفة، ممّا ينعكس أحيانا على تصرفاته وحياته وانعزاله، ما شدّ انتباه الآخرين إليه ليفهموا حقيقة ما به ومنبع أحواله وكلماته، هذا ما حاول فعلا فهمه روكرت وترجمه من العربية إلى الألمانيّة في شكله المناسب، فها هو يشكو حاله بقوله:

لا يثير النّفوس ما أوحتني به آلهة الشّعر

ولا يلتفت العلماء إلى ما ألّفت في مضمار اللّغات.

(صلاح الدين المنجد، 1978، ص55)

إضافة إلى القصائد التي كتبها، فقد أسّس لعلوم الاستشراق، منفصلا عن كليّة اللّاهوت لأوّل مرّة في تاريخ الدّراسات الاستشراقية الأوروبية وأسّس مكتبة الدّراسات اللّغوية والأدبية الشّرقية، وكان نشاطه التّرجمي في حركيّة دائمة، فكان ينجز ترجماته في صياغات شعريّة جميلة ومتينة تكاد تضاهي الأصل، إضافة إلى تحقيق النّصوص الشّعرية مثل ترجمة "ما يشرح القلب ويبهج العين من الشّرق".

صاغ بقلمه أشعارا على نمط أسلوب الشّاعر المتصوّف جلال الدّين الرّومي، وأخرى تعكس روح حافظ الشّيرازي، وأخذ يترجم القسم الأكبر من القرآن الكريم، وعندما نشر سلفستر دي ساسي مقامات الحريري سنة 1822م، ترجمها روكرت ترجمة رائعة قريبة من الإعجاز. (صلاح الدين المنجد، 1978، ص56).

اختار روكرت الشّعر لأنّه أقدم شكل أدبي في تاريخ البشريّة. كما أنّ له فكرة أنّ الشّعر يلتقي فيه العالم، واهتمّ أكثر بلغة الشّعر (اللّغة العربية) وحرص كثيرا على معرفة مدلولاتها ومصطلحاتها وأسرارها البلاغية، حرصا منه على الترجمة الحقّة لأنّ الشّعر الصّوفي يكتب بلغة تختلف عن الشّعر العادي، حيث ينتقي الشّاعر الصّوفي مصطلحاته بدقّة، لهذا يحاول روكرت إيجاد مقابلاتها في اللّغة الألمانية بدقّة أيضا، وكان المؤرخ رودولف كرويتنر يعمل في كتابات روكرت بعد وفاته، فهو يؤكّد أنّ كتابات هذا الأخير كانت لها شعريّة مكتوبة بلغة راقيّة جدّا.

هناك نقطة مهمّة يجدر الإشارة إليها ميّزت روكرت عن باقي المستشرقين الألمان، هي أنّه حاول في ترجماته إبراز الأسلوب الشّعري في القرآن الكريم ونقله إلى اللّغة الألمانية ومن خلال ترجمته هذه أثّر في الشّاعر الألماني غوته، الذي اعتمد في ديوانه الشّعري "ديوان الشّرق والغرب" على ترجمة روكرت.

كان يترجم أحيانا الشّعر العربي أو الفارسي الذي قرأه على طلبته ارتجالا في شكل منظوم، ولم يهتم في ترجمته بالقواعد اللّغوية والنّحويّة، حيث كان يأخذ بيد التلاميذ إلى قلب اللّغة ليتعرّ على أسرارها وتوافق العبارات فيها وتشابك الكلمات. (صلاح الدين المنجد، 1978، ص57)

وعلى خلاف المستشرقين الألمان فقد تأثّر روكرت بالشّرق والشّعر العربي ولغته عن بعد، من خلال ما قرأه فقط، حيث أنّه لم يسافر قطّ إلى البلاد العربية والشّرقيّة عامّة ولم يحتكّ بالعرب طوال عمره، بل تعرّف عليهم وتأثّر بهم وبلغتهم من خلال الكتب وأعمال الرّحالة والدّراسات المقارنة ودراسات بعض

المستشرقين الذين سبقوه، إضافة إلى المخطوط العربي وما تزخر به المكتبة الألمانيّة من المخطوطات العربية التي اطّلع على بعضها وقرأ النّص العربي الأصلي.

كان روكرت يسعى دائما أن يثبت بواسطة بحوثه العلميّة وترجماته الشّعرية عن اللّغات الأجنبيّة أنّ وحده الإحساس عند كافّة الأقوام، وأن يبرهن بذلك أنّ العشق هو في الأقاليم السّبعة وفي قديم الزّمان وحديثه ولذلك كتب عند ترجمته لأشعار الحماسة قائلا:

إنّ الشّعر في اللّغات جميعها * لغة واحـــــدة لـدى العارفيـــــن.**

نشر قصائد وحكايات منظومة استمدّ مواضيعها من كتب التّاريخ الإسلامي وقد جمع منها مجموعتين تحتويان على حكايات وأشعار حول الأحداث الهامّة في تاريخ الإسلام، وعلى أجزاء من بعض وسائل التّصوف مصاغة كلّها في لباس أشعار ألمانيّة رقيقة. (صلاح الدين المنجد، 1978، ص57).

كان روكرت غزير الإنتاج على صعيد الشّعر بأنواعه، إذ نظم القصيدة والأنشودة والأغنية والملحمة القصيرة والمسرحيّة الشّعريّة، إلاّ أنّه في مضامين شعره كان مقلّدا للاتّباعيين (الكلاسيكيين) والإبداعيين (الرّومانسيين) الألمان أكثر منه مبدعا، أمّا على صعيد الأوزان الشّعريّة فكان مجدّدا كبيرا، بحيث كان ضليعا في معرفة خصوصية الأشكال الشّعرية الشّرقية في العربية ولغات أخرى، كما يعود إليه الفضل في إدخال القصيدة الغزلية إلى الشّعر الألماني، ومن الغريب أنّ روكرت لم يأت بالتّرجمة المنثورة ولكنّه كلّما قرأ بيتا أو قطعة مسجوعة ترجمها في الحال، نظما أو سمعا حيث يقول في هذا الصّدد: "إنّ صنعة التّرجمة هي أن ترى كيف تتبدّل أرواح المعاني في أثواب الكلمات" (آنا ماري شميل، د.ت، ص52)، وقوله كذلك: "إنّ الدّنيا تنعكس في بلور الشّعر وتبتهج به..".(آنا ماري شميل، د.ت، ص52)

كان أثر الشّعر الشّرقي عموما والعربي خصوصا، واضحا وجليّا في أشعاره التي كتبها باللّغة الألمانية، فكانت موهبته الشّعرية مشابهة لموهبة شعراء الشّرق، حيث كان يحبّ اللّعب بالألفاظ والمعاني ورأى في الشّعر الصّوفي لعبا روحانيا ظريفا وبديعا في نفس الوقت، وكان كتيب روكرت المدعو "ورود شرقية" (صدر سنة 1821)، يحتوي على أشعارا رائعة استعمل فيها الشّعر ألعابا لفظيّة وقواف غير مألوفة بالنسبة للقارئ الألماني.

كانت له نظرة أخرى في هذا الباب، حيث كان يرى أنّ "الاهتمام بدراسة التّصوف العربي وشعره وشعرائه، يعني دراسة الأصول الحقيقية لتاريخ شعوب ومدنيّات أخرى وهذا يقضي الاستعانة بما انتهى إليه من نتائج، وهذا التّاريخ يبيّن كيف تكوّنت تلك الأمم والشّعوب في عهود التّاريخ المنقضية، وماهية

العناصر التي كونتها وأين نشأت منابتها وكيف تنقلت في البلاد وما مدنيتها المتعاقبة وما أثرها في التّطور العام للإنسانية".(طالب جاسم حسن العنزي، 2014، ص 46).

رأى في الصّلات التّاريخية الموجودة بين الثّقافة الهندية والتّصوف العربي، رابطا قويّا حيث تأثّر المتصوفة العرب بالهنود، ومن بينهم الحلاّج المتأثّر بالهنديات وابن السّبعين "ولا نغفل ذكر ابن عربي ولا الفكر الصّوفي عموما ولا السّلوكيّات الصّوفية في حلقات الذكر، أو محاولات التّغلب على شهوة الجنس والطّعام، ونظريات مثل الفناء ووحدة الوجود، والتجسّد والحوليّة والتّناسخ...وغيرها من العقائد والأفكار الدينيّة التي اقتبست، أو هاجرت من الهند إلى الثّقافة الإسلامية وتبناها أرباب التّصوف، هي ذاتها عدّت ممّا اقتبسه متصوفة الإسلام عن الثّقافات والدّيانات التي ثمة مقاربة علاقتها بالتّصوف الهندي".(طالب جاسم حسن العنزي، 2014، ص51).

اعترف روكرت أنّ الشّعر الصّوفي ذو فكر عميق يستعمل لغة غير عادية التي يعجز القارئ أحيانا عن فهمها واستيعابها، لامتزاجها بالإحساس والذّوق الرّفيع للصّوفي الذي له حيّزه الخاصّ ومصطلحاته الخاصّة به كذلك، تجسّد انفعالاته وذوقه الفنّي، ممّا يصعب على المتلقي أحيانا فهم بعض الدّلالات والتعابير في القصيدة الصّوفية.

وبما أنّه من أكثر المستشرقين ولوعا بالغزل من بين الأغراض الشّعرية الأخرى، فمن مظاهر التّحولات التي أحدثها التّصوف في القصيدة على مستوى الأغراض، هو تحويل غرض الغزل، الذي كان جزءا رئيسيا من أجزاء القصيدة العربية القديمة (الجاهلية)، وكان له مجاله في الشّعر العربي باعتباره كان موجها إلى المحبوب البشري، وكان يعبّر عن الميل الفطري للمرأة ويتحدّث الشّاعر عنه بشكل حسّي في الغالب ومعنوي في بعض الأحيان، إلى وعاء روحاني ربّاني، تسكب فيه المشاعر الصّافية لحبّ إلهي صوفي بدّلت فيه دلالات القصيدة الغزلية إلى قصيدة من نوع آخر، تحوّله من حبّ بشري حسّي إلى حبّ الهي روحاني، وأصبح هذا الأخير يستعمل ألفاظا غير الألفاظ الغزليّة القديمة. (عبد العزيز بن عياد الثبيتي، 2010، ص38).

كان روكرت على حقّ إذ أشار في أوّل الغزليات إلى معشوق مولانا جلال الدّين الرّومي وهو الشّمس التّبريزي حيث يقول في بعض أبياتها:

النّور في المشّرق، وأنا في المغرب

مثل جبل ينعكس على ذروته الضّياء

أنّى القمر الأشهب لشمس الجمال

فاصّرف عني النّظر، وانظر إلى وجه الشّمس.

وإذا أردنا أن نحمل أعمال روكرت حول الشّعر العربي القديم وأهم أعماله المترجمة نذكر منها :

- المقامات الحريرية (1829م) .
- دراسة عن طرفة بن العبد مع ترجمة معلقته شعرا بالألمانية.
- ترجمة معلقة عمرو بن كلثوم (1838م) .
- ترجمة أشعار امرؤ القيس (1843م) .
- ترجمة ديوان الحماسة لأبي تمّام الذي نشره فريتاج ، وقد حقق فيها شعره ، وردّ على انتقاد العرب في صحّة مرئية تأبّط شرّا.
- ترجمة مقطوعات من آثار فريد الدين عطار ، وقصيدة لأنوري ، وبضع رباعيات لعمر الخيام، ولم يهمل الشعر الشعبي الفارسي.
- ترجم الأمثال العربية الألف وستا مئة ، لكنها لم تطبع لحد الآن .
- لامية العرب للشنفري التي ترجمها الكثير من المستشرقين الألمان .
- ترجم قصيدة البردة لكعب بن زهير (1849 م).

3.**التجربة الشّعرية والصّوفية عند آنا ماري شميل** (1922ـ2003)

من أبرز المستشرقين الألمان، بدأت دراسة اللّغة العربية في سنّ مبكرة (15 سنة)، تتقن العديد من لغات المسلمين، كما درست الفنّ الإسلامي وتعرّفت على ابن خلدون، فترجمت بعض فصول مقدّمته وكانت أستاذة اللّغة العربية في جامعات مختلفة في العالم.

تأثّرت بالشّعر الصّوفي وبالشّعراء الصّوفيين وتخصّصت في هذا المجال الذي استهواها وملأ قلبها بالحبّ والاحترام، أظهرت احتراما كبيرا لهؤلاء الشّعراء خاصّة جلال الدّين الرّومي ونأت بنفسها عن مادّيات الحضارة الغربيّة إلى تغذية روحها بالشّعر الصّوفي الذي وجدت فيه توازنها النّفسي والرّوحي.

اهتمت بالأعمال الشّعرية الصّوفية مدّة طويلة تمتد إلى أربعين عاما، حيث تقول عن هذا: "بدءا من أيّام دراستي الأولى عندما قرأت مرّة بعضا من التّرجمات الشّعرية الرّائعة التي قام بها روكرت من ديوان مولانا جلال الدّين الرّومي، تلك الأشعار الألمانية التي ظلّت دائما تخلب لبّي، ثمّ عندما كنت طالبة شابّة...فانّ اللّحظة التي أنشد لنا فيها أستاذي المبجّل هـ.هـ. رشيد الأبيات الأولى من مثنوي الرّومي، أثبتت أنّني حاسمة في تطوير هذا الحبّ القديم، ولم تمض سوى أسابيع قليلة حتّى كانت ترجماتي الأولى من ديوان شمس الدّين التّبريزي جاهزة." (آنا ماري شميل، 1950، ص21-22).

كانت جاهزة ومتحمّسة لخدمة الإسلام من باب الشّعر الصّوفي حيث، "كانت تعرف من اللّغات مالا يعرفها غيرها من دارسي الإسلاميات، وكانت سببا في تعريف الشّرق بشخصيات صوفيّة لم يسمع عنها من غيرها... كانت تستطيع أن تترجم أعمال الرّومي كلها كما فعل نيكلسون لكنّها لم تفعل... لم تملك القدرة على نقل هذا العالم الثّري إلى أي لغة مهما كانت...فكلّ اللّغات تعجز عن نقل عالم التّصوف...ورأت شميل أنّ رسالة الإسلام أوسع من أن تستقل بها منطقة أو يحدّها زمان." (خالد محمد عبده، 2016، ص53).

تحدّثت عن الحبّ عند المسلمين حكّاما ومحكومين وشعراء، إلى أن صار تقليدا لهم في دورهم وأحيائهم، ممّا يدعم الإحساس المرهف لديهم، عكس ما كان يروّج عن العربي وشخصيته القاسية قساوة الطّبيعية التي نشأ فيها ونلحظ في هذا أنّ شميل أرادت أن تظهر الجانب العاطفي الحسّاس عند العرب، فهو يتجسّد في أشكال كثيرة، مثل حبّه للبساتين والأزهار وحضورها القويّ في أشعاره، والتّصوف جانب آخر يدعم هذا التوجّه، حيث أعطت جزءا كبيرا من اهتمامها له (الشّعر الصّوفي) وحاولت التّعريف به في كتابها المشهور (الأبعاد الصّوفية في الإسلام وتاريخ التّصوف) وإلى صعوبة ترجمة الأشعار، لأنّها ملآ بالإحساس الذي لا يمكن للمترجم أن يجد له مقابلا حقيقيا في اللّغة الثانية.

تقول عن هذا: "بنسيان اللّغة العربية من مصدرها يعطي إمكانية بناء صيغ لا حصر لها ومن الممكن تشبيهها...لوردة تنقلب إلى قطعة زخرفيّة رائعة في تشابكها، وإذا كان أسلوب الشّاعر العربي والكاتب متأثّرا بميله إلى الاستمتاع بالإمكانيات المتعدّدة للّغة، فقد نرى كذلك ميلا مماثلا إلى التّلاعب بالألفاظ في أقوال الصّوفية، ولا يكتفي مؤلفو الصّوفية باللّغة العربية أن يستقوا من المصدر الواحد معاني مختلفة، بل يميلون إلى القوافي وإلى السّجع، وقد انتقل هذا الميل إلى شعراء الصّوفية...وهنا تكمن صعوبة ترجمة النّصوص الصّوفية، فالعلاقة سحريّة بين اللّفظ والمعنى...". (آنا ماري شميل، 2006، ص18).

اطّلعت على ترجمة فريديريش روكرت لجزء من المثنوي للرّومي وفي إحدى القصائد نسي ترجمة بيت اعتبرته الأهمّ والمعبّر، حيث تقول: "وقد ترجم ريكرت جزءا من المثنوي قبل مائة وخمسين عاما، ولكن بدون أن يترجم آخر وأهمّ سطر فيه:

ماذا أخش إذا ما متّ بالموت لا تنقض قيمتي

فإذا ما عدت فمتّ إنسانا

فلسوف أهدى جناح الملك

ثمّ يكون لزاما أن أموت ملكا

فأصبر –لا أفهم كيف– إلى روح الله

ثمّ يقول السّطر الأخير:

أواه لا توجدني! فالعدم يناديني

بنغمات الأرغن قائلا: إليه سوف نعود.

(آنا ماري شميل، 2006، ص363–364).

أعجبت كثيرا بالشّاعر الصّوفي ابن الفارض وبأشعاره وإحساسه في نظم الشّعر، فتقول عنه: "قد صبّ ابن الفارض خبراته الصّوفية في قليل من الأشعار العربية الرّائعة الجمال على غرار أساليب الشّعر الكلاسيكي...ومن قرأ أشعاره المعقّدة يتساءل كيف يمكن أن تكون قد نشأت في حال الغيبة الصّوفية، إنّ تلك الأشعار عربية خالصة، شكلا ومضمونا... مأخوذة من تقاليد ما قبل الإسلام." (آنا ماري شميل، 2006، ص309).

فهي تأكّد تأثّر ابن الفارض بالشّعر العربي القديم (الجاهلي) من حيث الشّكل والمضمون، وهذا جليّ في أشعاره، ممّا جذب إليه اهتمام دارسي اللّغة العربية من الأوروبيين منذ بداية الدّراسات الاستشراقيّة، فذلك الرّابط القويّ بين الشّعر الجاهلي والصّوفي أعطى قيمة إضافية لشعره، خاصّة على المستوى الدّلالي والبلاغي.

وقد ترجمت شميل عنه قصائد عدّة منها قصيدتان من ديوان ابن الفارض تصف خمرة الحبّ الإلهي الذي يفعل المعجزات ومثال ذلك قوله:

شربنا على كـأس الحبــيب مدامــة * سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم**

لها البدر كأس وهي الشّمس يديرها * هــلال وكم يبــدو إذا مزجت نجم**

ولــولا شـذاها ما اهتديــت لحـانـها * ولولا سـناها ما تصـورها الوهـم**

فإذا ذكرت فــي الحيّ أصبــح أهلــه * نشــاوى ولا عــار عليهم ولا إثـم.**

(آنا ماري شميل، 2006، ص309–310).

كما ترجمت له قصيدة أخرى تسمّى "الجيميّة" واعتبرتها قمّة الشّاعرية والإحساس وهي من أحبّ أسطر الشّعر العربي في الإبداع الرّومانسي والبلاغي إلى قلبها، إضافة إلى قصائد أخرى ترجمتها من شعره

ونقلتها إلى اللّغة الألمانية بشعرية فائقة تكاد تكون الأصل، حيث لمست جوهرها الحسّي وحاولت أن تقدّمه في قالبه الحقيقي الذي يعبّر فعلا عن مقصد الشّاعر ويصل في أبهى صورة إلى المتلقي.

كما لا ننسى تأثّرها بالشّاعر الصّوفي الشّيخ الأكبر ابن عربي والتي اعتبرت شعره مختلفا عن غيره من العرب في مجاله، فقد وضع نظاما علميّا للتصّوف أكثر من كونه صاحب غيبة صوفيّة، ومن الأشعار التي ترجمتها شميل لمحي الدّين ابن عريي في معرفة الحبّ معرفة حقيقيّة يقول فيها:

إذا بدالي حبيبي * فبأي عــين أراه**

بعـينه لا بعـيني * فغيره لا أجد أراه.**

وترجمت له أشعار أخرى عن التّسامح الصّوفي وعدم التّفرقة من ديوان الأشواق حين يقول فيها:

لقد صار قلبي قابلا لكلّ صورة * فمرعى لغزلان ودير ولرهبان**

وبيت لأوثان وكعـبة طائـــف * وألواح تـوراة ومصحـف قرآن**

أدين بدين الحـبّ أنّى توجهـت * راكـبيه فالدّيـــن ديني وإيماني.**

(آنا ماري شميل، 2006، ص305).

وإن كثرت الدّراسات الاستشراقية التي تناولت ابن عربي وتصوفه في مدارس استشراقية أخرى في أوروبا، فهي تستدعي جهدا جبّارا للإحاطة بها وتصنيفها من جهة وتقييمها وتقويمها من جهة أخرى، بغرض الوقوف على طرائقها البحثيّة وآلياتها الفكريّة ومرجعيتها الثّقافية، والفحص عن دواعيها وأسبابها وإمعان النّظر في مقاصدها وغاياتها، ابتغاء الاستفادة من ثمراتها ومنجزاتها وتجنّب ثغراتها ومنزلقاتها، هذا ما أكّدت عليه شميل في ترجماتها لمجموعة قصائده، فحرصت كلّ الحرص على تأدية المعنى وإيفائه حقّه، ليس في مقابله اللّغوي فقط وإنّما في إحساسه الذي هو جزء لا يجزّأ عن المعنى.

يعدّ كتابها "الأبعاد الصّوفية في الإسلام وتاريخ التّصوف" مرجعا مهمّا لكلّ مهتم بالتّصوف في الشّرق والغرب، إذ وضعت في كتابها الخطوط الأساسيّة للمنظور التّاريخي لحركة التّصوف في الشّرق وناقشت جميع النّظريات الغربية في تفسيره ويكاد يكون منهجا موضوعيّا في وصف الإطار العام لتأريخ التّصوف باعتمادها على مؤلّفات كبار الصّوفية، ويحتوي الكتاب على كبار الشّعراء الصّوفيين العرب وغير العرب وأهمّ رواد التّصوف وأهم الطّرق الصّوفية في المشرق والمغرب.(زهير يوسف عليوي الحيدري، 2010، ص57).

لم يقتصر اهتمام شميل على الشّعراء المتصوفة الذكور فقط، بل كان الاهتمام أيضا بالعنصر النّسوي، الذي كان له انجازات شعريّة صوفيّة، فحاولت أن يكون كتابها (روحي أنثى) نافذة جديدة في باب التّصوف العربي، تعرّف من خلاله بمجموعة من المتصوفات العربيات اللّواتي كتبن في الشّعر الصّوفي وقدّمن مجهودا جبّارة في هذا الباب، وهذا الكتاب دليل على سعة اطّلاع شميل واتّساع التّجربة وثرائها في هذا العالم الرّوحاني، عرفتنا من خلاله بنساء غير معروفات في الدّرس العربي حتى اليوم.

اختارت شميل هذه المرّة قصيدة لشاعرة تسمّى سعدونة الحميريّة حين تقول:

سألـــتم التــمثال إذا لـــــم * للثم نعل المصطفى من سبيل**

لعلنـــي أحظـــــى بتقبيلـــه * في جنّة الفردوس أسنى سبيل**

وأمســـح القلـــب به علّـــه * يسكن ما جاش به مــن غليل.**

(آنا ماري شميل، 2016، ص56).

كما كان لرابعة العدويّة نصيبا من أبحاث وترجمات شميل، حيث نقلت قصّتها الشّهيرة إلى الشّعوب واحترمت إيمانها القويّ وإحساسها المتفرق ورابطها المتين بمعشوقها، حيث تقول عنها: "رابعة العدويّة التي عرفت برابعة البصرية، حيث مسقط رأسها، والتي تعدّ بحقّ أوّل الزّهاد في الإسلام، فانتقلت بالتّصوف من الزّهد القاتم إلى آفاق الحبّ الصّوفي، وأصبح من المعروف قصّتها الشهيرة عندما كانت تجوب البصرة حاملة إناء ماء في يد والمشعل في اليد الأخرى ولمّا سئلت عمّا تقصده أجابت: أريد أن أطفئ نار جهنّم." (آنا ماري شميل، 2016، ص63-64).

كان ثمرة تأثرها بعالم التّصوف العربي والإسلامي مجموعة من الكتب القيّمة التي ساهمت –وبشكل كبير– في التّعريف بالتّصوف والمتصوفة العرب وغيرهم من الأعاجم، وكان أبرز كتاب –كما سبق وأن ذكرنا– الأبعاد الصّوفية في الإسلام وتاريخ التّصوف وهناك منجزات أدبية أخرى في هذا المجال نذكر منها:

- كتاب تعليم اللّغة العربية.
- كتاب الشّمس المنتصرة.
- المرأة الشّرقيّة.
- ديوان شعر (عنادل تحت الثلج)، ترجمته إلى العربية الشّاعرة أمل الجبوري.
- الورود والعندليب (في الشّعر الصّوفي).
- كتاب النّجم والزهرة (شعر).
- الجميل والمقدس، ترجمه إلى العربية عقيل يوسف عيدان.

4.أوجه التشابه

* يمكن أن نحدّدها في النقاط الآتية:

– أوّل ما بدأ به المستشرقون الألمان عامّة وهذين النّموذجين تحديدا، باعتبار أنّ روكرت من الجيل القديم وماري شميل من الجيل الجديد، هو إتقان اللّغة العربية، إيمانا منهم بأنّها مفتاح القراءة الصّحيحة والحقّة للشّعر العربي عامّة والصّوفي خاصّة، فقد عمدوا إلى تعلّم اللّغة العربية وأتقنوها، حيث كانت البدايات الأولى للاهتمام المستشرقين الألمان بحقل اللّغة وفقهها في القرن السّابع عشر ميلادي.

– إنّ موضوعات اللّغة العربية التي اشتغل عليها المستشرقون الألمان القدامى والمحدثين قد تضمّنت قواعدها وفقهها وتاريخها ومعاجمها، كما عدّ الأدب معه الأدب بوصفه مصدرا وأسلوبا لتلك اللّغة. (عبد الله يوسف الشاذلي، (د–ت)، ص156–157).

– تأثّر كليهما بالشّعر الصّوفي وكان روكرت أوّل من غرس بذرة الحبّ الصّوفي في فؤاد شميل وقد اعترفت له بهذا الجميل في مقالة كتبتها على روحه وكانت بداياتها مع جلال الدّين الرّومي على نفس نهج روكرت.

– ميولهما الرّومانسي ساعدهما كثيرا وكان دافعا قويّا لهما في التأثّر بالشّعر الصّوفي لأنّه يعتمد أساسا على الإحساس والذّوق الفنّي الرّفيع وترجماه إلى اللّغة الألمانية ولغات أخرى.

– المنهج الفيلولوجي في دراسة الشّعر الصّوفي إضافة إلى النّهج التّاريخي المقارن، كانا دربا سارا فيه كليهما وأصبح تقليدا ألمانيا وهو الوفاء لمنهج القدامى.

– تأثرا بالشّعر العربي الكلاسيكي (الشّعر الجاهلي) واكتشفا الصّلات الدّلالية والبلاغية والتّناغم الموجود بينهما في الشّكل والمضمون، فكان الإعجاب بالشّعر القديم والشّعراء البارزين فيه السّمة المشتركة بينهما.

– رغم ما أثير حول القصيدة القديمة إلاّ أنّ المستشرقين الألمانيين أثبتا مع ثلّة من المستشرقين الألمان وحدة الموضوع في القصيدة الجاهليّة ونفوا التّقطيع الذي نادى به البعض في تقسيمها إلى موضوعات متفرّقة لا رابط لها إلاّ الوزن والقافية، هذا ما نفاه بروكلمان وغيره ممّن أثّبتوا وحدة الموضوع بقرائن تاريخيّة واقعيّة.

– الميول الاستشراقي للشّعر الصوفي لم يكن صدفة، وإنّما كان امتدادا للشّعر الجاهلي، الذي كان أصل التأثّر والتأثير ومحل دراسات المستشرقين الألمان، فهذه الرّوابط الفنيّة والموضوعاتية بينهما دعت

إلى اهتمامها بالشّعر الصّوفي والانصراف إلى التّأثر به ولقد جاءت جهود بعض المستشرقين الألمان في دائرة التّصوف من أفضل ما كتب، إذ أنّ معظمهم أجاد عدّة لغات، بجانب العربية كالفارسية والأردية وبعض لغات الهنود والتّركية وبعض لغات الأقليات الإسلامية في ربوع الأرض، مع إجادتهم للّغات القديمة ومعظم اللّغات الحديثة الحيّة ممّا جعل نظراتهم في الأدب المقارنة تبدو أشمل وأكثر عمقا .

– التزامهما الحياد والموضوعية في التّعامل مع النّصوص الشّعرية الصّوفية ومع الشّعراء الصّوفيين كذلك، في وقت كان مستشرقون آخرون على غرار ماسينيون تطرّقوا إلى الشّعر الصّوفي بالدّراسة والتّحليل، لكن بنوايا خبيثة تهدف إلى دعم الحركة الاستعمارية التي كانت سائدة في ذلك الوقت ومحاربة اللّغة العربية في أصلها وتراثها ودينها وباعتبار النّص الصّوفي شاذ يستطيعون من خلاله ضرب مصداقية الشّعر العربي والتّوجه الإسلامي، فالألمان لم يشاركوا في الحركة الاستعمارية ضد دول العالم الثالث ولم تكن لهم نوايا خبيثة أبدا، بل كان ذلك في إطار التأثير والتأثر والدّراسة المقارنة للنّصوص القديمة.

5.أوجه الاختلاف

* نجدها في:

– قلّة القواميس المترجمة للّغة العربية في عصر روكرت صعّب عليه ترجمة الأشعار، فقد كان مجبورا على استنساخ بعض القواميس، على خلاف شميل حيث كانت التّرجمات موجودة ومتوفرة خاصّة في عصر العولمة وسهولة التّواصل بين الشّرق والغرب.

– حافظ روكرت على الوزن العربي فترجم في البحر البسيط أو الطّويل أو الوافر، هذا ما لم تهتم إليه شميل ولم تركّز كثيرا على العروض في ترجماتها، فقد تبنّى روكرت وزنا قريبا من البحر الأصيل وزاد ذلك صعوبة في فهم الأشعار وهذا م الم تحبذه شميل التي رأت أنّ الشّعر موجّها لعامّة النّاس وعلى اختلاف ثقافتهم.

– كان شغف روكرت الكبير بغرض الغزل الذي تحوّل به إلى القصيدة الصّوفية، لكن شميل كان تأثرها بشخصيات صوفية وأشعارهم.

– لم تنشر قصائد روكرت إلاّ بعد موته نظرا لفقره المدقع وقلّة إمكانياته المادية، بينما صالت وجالت شميل في الجامعات الأمريكية والأوروبية والأسيوية وتقلّدت كراسي في جامعات العالم لتدريس اللّغة العربية وعلومها وكرّمت بأوسمة هدايا والتقت بشخصيات رفيعة، هذا ما لم يشهده روكرت في حياته.

– لم يسافر روكرت إلى البلاد الشّرقية قطّ، وتأثّر بالتراث العربي من خلال أدب الرّحلة وأعمال بعض المستشرقين الذين سبقوه، إضافة إلى المخطوط العربي الموجود في الجامعات الألمانية والأوروبية، عكس ذلك شميل تماما التي احتكت بالشّعوب العربية وأنشأت علاقات اجتماعية معهم ووجدت في هذا الاحتكاك فهما أكثر للتّصوف والمتصوفة، حيث شاهدت الحضرة الصّوفية وانفعالات المريدين وطريقة معاملتهم مع شيوخهم وفيما بينهم.

– ارتباط شميل باللّغة العربية لم يكن عاديّا بل طغى عليه الإعجاب الكبير بالمعاني الغزيرة التي تقدّمها هذه اللّغة ممّا يعطي حرّية ومساحة أكبر للمبدع والمترجم على حدّ سواء، كما كان جليّا إعجابها بالشخصيات الصّوفية التي احتكت بهم وجدت فيهم سيرة نادرة لا نجدها عند كلّ النّاس.

– كتب روكرت باللّغة العربية الفصحى ولم يتعامل بغيرها وظلّ وفيّا لهذا المبدأ إلى حين وفاته، هذا ما يختلف عن شميل التي رأت أنّ الاحتكاك المباشر مع الشّعوب العربية أظهر حاجة للتّواصل معها باللّغة العربية المعاصرة أو العاميّة.

– الدّراسات في باب التّصوف العربي كانت قليلة زمن روكرت على عكس شميل التي وجدت أعمالا ضخمة دعمتها في ولوج هذا العالم والتّعرف على التراث العربي خاصّة أعمال كارل بروكلمان وعلى رأسها كتابه المشهور تاريخ الأدب العربي.

– وهنا نقطة تستحقّ التّنبيه إليها، كانت شميل – كما يرى أحد الألمان وكما يشعر القارئ العربي– تنظر إلى الشّرق من منظور متحمّس، بعين الحبّ الهائم، الذي يعيش تاريخا يفارقه الواقع أحيانا ويبتعد عنه أحيانا أخرى، وينتخب منه من أراد، لكن نظرتها هذه لم تمنعها من التّعاطي مع الأمور بمنهجيّة علمية، (خالد محمد عبده، 2016، ص160)، لكن روكرت تعامل مع الإرث الشّرقي والعربي تحديدا في باب التّصوف بعلميّة وموضوعية خالصة.

– نرى أنّ شميل اهتمت بالسّياق الخارجي للنّص الشّعري الصّوفي وتعاملت مع النّصوص بإحساس فائق على عكس روكرت الذي كان إحساسه أقل.

– عرّفت شميل المجتمعات الغربية على سيرة العديد من الشّخصيات الصّوفية العربية أمثال: محي الدّين ابن عربي وابن الفارض والحلاّج، إضافة إلى شخصيات أخرى التقت بها وكانت تكنّ لها الاحترام الكبير وقدّمت بذلك صورة بهيّة عن الرّابط والإحساس الذي كان يربط المريدين والطّرقيين مع شيوخهم، حيث عاشت كلّ ذلك عن قرب وتأثرت به وحملته في صورته الحقيقة وبكلّ موضوعية إلى الغرب وألمانيا تحديدا. وبهذا اعتبرت الشّعر الصّوفي رسالة نبيلة تعبّر عن إحساس مرهف ورابط قويّ بين العاشق

والمعشوق. هذا ما افتقده روكرت الذي لم ينل شرف الاحتكاك بهذه الشّخصيات ولم يرى ما رأته وسمعته في الحضرة الصّوفية، التي كانت المجال الأمثل والفضاء الأنسب للتّعبير عن الانفعالات والعيش في الملكوت الخاصّ.

ومن خلال هذه المقارنة بين المستشرقين الألمانيين واستنادا لما سبق من استعراض لأوجه التّشابه والاختلاف، نخلص إلى بعض النقاط نبيّنها في الجدول التالي:

فريدريش روكرت	آنا ماري شميل
– التّرجمة الفائقة للأشعار العربية إلى اللغة الألمانية وأشهر ترجماته مقامات الحريري. – صاغ أشعار المتصوف جلال الدين الرومي. – حاول إبراز الأسلوب الشّعري في القرآن (وهذا ما اختص به دون غير من المستشرقين). – لا يهتم بالقواعد اللغوية في ترجمة الشعر الصوفي وغيره وإنما ترجمة ارتجالية للأشعار. – تأثّر بالشّعر والشّرق عن بعد ولم يسافر يوما إلى البلاد الشّرقية. – الإحساس والعشق الشّعري عنده هو عماد وأساس الفعل الترجمي. – أوّل من عرّف الألمان بشعر الغزل. – تأثر بالشّعراء المتصوفة مثل الشيرازي وترجم ديوانه الغزليات وفريد الدّين العطّار. – استفاد في كتابة الشّعر الألماني من التّاريخ الإسلامي والحكايات والأشعار وصاغها في لباس أشعار ألمانية.	– تأثّرت بالشّعر الصّوفي وأتقنت اللّغات العربية والتّركية الفارسية. – تخصّصت في دراسة الشّعراء الصّوفيين الفرس (جلال الدّين الرومي) والعرب (محي الدّين ابن عربي وابن الفارض والحلّاج). – حاولت خدمة الإسلام ودعت إلى حوار الحضارات من بوابة الشّعر الصّوفي. – اعتبرت اللّغة قاصرة أمام إحساس الشّعراء الصّوفيين. – أفردت كتابا مهمّا في الغرض شرحا وتفصيلا تحت عنوان "الأبعاد الصّوفية في الإسلام". –تواصلت مع المجتمعات العربية عن كثب لفهم الشّعر وأسراره وأقامت علاقات مجتمعية معهم، مما زاد شغفها وحبّها لهم، وهذا ما لم يحدث مع روكرت الذي لم يطّلع على هذه العلاقة قطّ. – تأثّرت بروكرت في ترجمات المثنوري للرّومي وتعمقت في هذه الترجمة ووقفت عند ما أغفل عنه روكرت في أعماله الترجمية. – كشفت عن حضور فنية الشّعر الجاهلي في الشّعر الصّوفي عند ابن الفارض. – زيادة على الأعمال الأدبية كباقي المستشرقين حبّها الغير عادي للمسلمين والشّعراء.

6. خاتمة

خلصنا في بحثنا هذا إلى نتائج يمكننا استعراضها فيما يأتي:

* أوّل ما نستخلصه من هذه المقارنة بين المستشرقين هما وفاءهما للمنهج المتّبع في دراسة الشّعر الصّوفي والتأثّر به ونقله إلى اللّغة الألمانية، رغم البعد الزّمني بينهما واختلاف الظروف والملابسات.

* احترام مبدأ الحياد والعلميّة والموضوعية في مجمل دراساتهم إن لم نقل كلّها، فهذا الالتزام يحسب للمدرسة الألمانية على خلاف المدارس الاستشراقية الأخرى.

* الصّلة بين القدامى والمحدثين لم تكن مبتورة، بل على العكس من ذلك، كانت حلقاتها متّصلة ببعضها البعض، ممّا ساهم في دفع حركة البحث في هذا المجال إلى الأمام، كما تأثّر بعضهم ببعض وتتلمذ بعضهم على يد البعض الآخر.

* ساعد المخطوط العربي الموجود بالجامعات الألمانية المستشرقين الاطّلاع على النّص الأصلي وترجمته إلى اللّغة الألمانية، ممّا يوفّر عليهم الوقت والجهد ويكون الاحتكاك مباشرا مع النّصوص الشّعرية الأمّ وهذا ما يقدّم مصداقية أكبر للنّص المترجم.

* اعترف الألمان أنّ الشّعر الجاهلي موجود لا محالة، رغم ما أشيع حوله من شكوك وقضايا تحاول زعزعة قيمة هذا الشّعر والتّشكيك فيه وفي مصداقيّته وهذا ما دافع عنه المستشرقون الألمان المحدثون وبشراسة.

* اتفاقهم على أثر الشّعر الجاهلي في الشّعر الصّوفي من حيث الشّكل والمضمون والأساليب النّحوية والبلاغيّة، مع اهتمامهم بالشّعر الصّوفي عند المتصوّفات العربيات الزّاهدات اللّائي قدّمن بدورهنّ أشعارا أثّرت في المتلقي العربي والغربي على حدّ سواء.

* أصبح الشّعر العربي أكثر جاذبية وعمق في وقت ظهر الاستشراق الألماني وفيا لمبادئه السّابقة ومحافظا على تقاليده في تأثره بالشّعر العربي والأدبي عمومًا، مما يجعل صورة الألمان ثابتة في الموقف النقدي العربي إزاء ثقافته ومجتمعه.

* سار الشّعر العربي على النّمط الذي سار عليه الشّعر الجاهلي وأمامنا صور كثيرة لهذا الشّعر تدلّنا في صراحة وصدق على متانة أسلوبه وقوّة ألفاظه، فهو قطعة من البادية التي أخرجته، فنجد شعراء صوفيين عرب تأثروا بالشّعر الجاهلي وأساليبه الفنيّة.

* أكّد الألمان أنّ الشّاعر البدوي الجاهلي قدّم منتوجا شعريا فريدا، حاول فيه الشّاعر إعمال خياله وتجسيد حياته ووصف طبيعته والدّفاع عن شرفه وقبيلته وأهله، مستعملا في ذلك فنّا ضمن قصائد وموضوعات شعريّة، أبدى فيها الإبداع الفنّي والمقدرة المتميّزة في سبك النّصوص وتوظيف الخيال ورقي الفكرة وسمو العبارة وبهذا تقدّم باللّغة والنّص إلى مراحل متقدّمة، تشهد على ذلك معلّقات الشّعر العربي ذات الصّيت الأدبي والفنّي المتميّز في تاريخ العرب، فأصّل بذلك الشّاعر البدويّ فنّا لتلك القصائد ذات البناء المتكامل المفعم بالقصص والحكايات والأساطير والرّحلات والتّجارب الإبداعيّة، وهذا ما أثر في المحدثين الألمان ودفعهم إلى إعادة بعث الدّراسات في الشّعر الجاهلي من جديد.

* الاهتمام بالشّعر العربي الكلاسيكي كان مشتركا بين القدامى والمحدثين ممثلين في فريديريش روكرت وآنا ماري شميل، لكن المسائل التي أثيرت حوله كانت مختلفة، فمن القدامى من عالج النّص الشّعري القديم في سياقه التّاريخي وطبيعة وصوله إلى اللاّحقين، لكن من المحدثين من تطرّق إلى مضمون هذا النّص في أغراضه وأساليبه البلاغيّة، بعيدا عن السّياق الخارجي والشّواهد المقدّمة عن تأصيل بعض الأغراض ونفي بعضها الآخر وتشابه الصّور البيانيّة الموجودة فيه وغيرها، هذا لا ينفي في نفس الوقت التّشابه الموجود بينهما وهذا ما ذكرناه سابقا.

* يحتل التّصوف اليوم مكانة جدّ بارزة في الدّرس الاستشراقي الألماني، فأصبح أوسع وأغنى ممّا كان عليه بالأمس، فظهر بذلك مستشرقون ألمان اهتموا بالمتصوفة العرب وأشعارهم الرّوحانية وما تعكسه من أحاسيس وتتضمنه من معاني وظهرت أسماء أعلام صوفية أخذت الحظّ الوافر والقسط الكبير في هذه الدّراسات أمثال الحلاّج، ورابعة العدوية والغزالي والهروي و الجيلاني وابن عربي وابن فارض...وغيرهم من مشاهير الصّوفية.

* هذا التأثّر العرضي الذي دفع مستشرقين ألمان كثر إلى الاهتمام بالشّعر الصوفي العربي والإسلامي والاهتمام به أكثر، بنفس منهجية الأدب العربي كلّه، ممّا ساهم في إثراء الدّرس الصّوفي العربي واكتشافه بشكل أكبر وبصورة واضحة لدى الآخر.

* لا يمكن إنكار أنّ هذه الدّراسات أنارت درب القارئ والدّارس العربي والأجنبي حول موضوعات الشّعر الجاهلي وبعض القضايا التي أثارها الألمان قدامى ومحدثون حوله، فلا "يمكننا أن ننكر ما للمستشرقين من أفضال في ميدان بعث التّراث، فلولاهم ما سمعنا بكثير من أسماء الأعلام في الموروث العربي الإسلامي، فقد احتفوا به وصنّفوه ونشروه في أجمل صورة... ولا أحد ينكر أنّهم قدّموا للّغة العربيّة خدمة كبيرة من خلال تنصيبهم لكراسي لها في مختلف الجامعات الأوروبية". (قدور تاج، 2014، ص196).

7.قائمة المراجع

1- أمين أحمد ، (1969)، ظهر الإسلام، (المجلد 3، ط3،4) بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي.

2- أبو الوفا الغنيمي، د.ت، مدخل إلى التّصوف الإسلامي، (ط3) القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع.

3- صلاح الدين المنجد، (1978)، المستشرقون الألمان وتراجمهم وما أسهموا به في الدراسات الغربية، (ج1، ط1) بيروت، دار الكتاب الجديد.

4- فوك يوهان، (2001)، تاريخ حركة الاستشراق، (الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين)، ترجمة: عمر لطفي العالم، (ط2) بيروت، لبنان، دار المدار الإسلامي.

5- شميل آنا ماري، ورقة في فريديريش روكرت.

6- شميل آنا ماري، (1950)، الشّمس المنتصرة، دراسة آثار الشّاعر جلال الدين الرومي، ترجمة: عيسى علي العاكوب، (ط1) طهران، مؤسسة الإرشاد الإسلامي للطباعة والنشر.

7- عبده خالد محمد، (2016)، المستشرقون والتّصوف الإسلامي، (ط1) القاهرة، المحروسة النشر والخدمات.

8- شميل آنا ماري، (2006)، الأبعاد الصّوفية في الإسلام وتاريخ التّصوف، ترجمة: محمد إسماعيل السّيد ورضا قطب، (ط1) بغداد، منشورات الجمل.

9- شميل آنا ماري، (2016)، روحي أنثى، ترجمة: لميس فايد، (ط1) القاهرة، الكتب خان للنشر والتوزيع.

10- عبد الله يوسف الشاذلي، (د-ت)، الاستشراق: المفاهيم، صلات، جهود، (ط1)، (د-م).

11- تاج قدور، (2014)، الاستشراق ماهيته فلسفته ومناهجه، (ط1) الجزائر، مكتبة المجمع العربي للنشر والتوزيع.

الأطروحات:

1- عبد العزيز الثبيتي بن عياد، (2010)، مقدمة القصيدة عند شّعراء مدرسة الإحياء (رسالة ماجستير)، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ص38.

المقالات:

1- العنزي طالب جاسم حسن، (2014)، المؤثرات الأجنبية في التّصوف الإسلامي من منظور استشراقي، مجلة دراسات استشراقية، العدد1، ص46.

2- زهير يوسف عليوي الحيدري، (2010)، جهود المستشرقين في دراسة تاريخ التّصوف الإسلامي، مجلة أوروك للأبحاث الإنسانية، المجلد3، العدد3، ص57.